الموروث في شعر غازي القصيبي

أمل بنت عبدالله الطعيمي

كلية الآداب، جامعة الملك فيصل
الدمام، المملكة العربية السعودية

الملخص:

التفت غازي القصيبي إلى موروثنا الحضاري يفيد منه في شعره بثقافة واسعة وخبرة واعية رابطاً بين الإنسان وماضيه وواقعه المعاصر مما زاد شعره ثراء ودفعني في ثنايا هذا البحث إلى تناول مسألة الموروث الحضاري عنده كواحد من الشعراء العرب المعاصرين القلائل الذين أضافوا مساهمة بارزة في "الشعر الحر".

ومن خلال هذا البحث ظهر تأثر غازي القصيبي بشعر الحكمة العربي وبشعر الصعاليك وأثبتت الدراسة أن هناك وحدة تنتظم قصائده كلها ترجع إلى توظيفه للتراث والحضارة والثقافة العربية الأصيلة.

الكلمات المفتاحية: الشعر المعاصر، غازي القصيبي، الموروث الحضاري.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

فقد ارتبط الشعر العربي المعاصر ارتباطا وثيقا بالتراث ولا يكاد شاعر أن يتخلى عن التراث في شعره، ولا عن العديد من القصائد التراثية في معالجات الأساطير والأحداث التاريخية والشخصيات التراثية وغيرها.

فكان من الطبيعي أن يلتفت "غازي القصيبي" أحد شعراء حركة الشعر المعاصر للتراث ويستفيد منه في جل أعماله الشعرية خاصة وأنه شاعر واسع الثقافة رأى التراث وهو يتحول في الأعمال الفنية العظيمة من مجرد "فكرة" إلى "طاقة إبداعية خلاقة" تعطي وتضيف، وتربط بين الإنسان وماضيه تجذبه إلى أعماقه الأصيلة الصادقة، تربط بين واقعه وجذوره الضاربة في ماضيه التليد.

وقد كان لاهتمامي بدراسة وتذوق الشعر المعاصر دافعاً قوياً لي عند تخيري لهذا الموضوع تحت عنوان "الموروث في شعر غازي القصيبي" إذ إنه مجال خصب لدراسة شيقة تطرح العديد من التساؤلات .

فالشعر دائما يحمل مهمة مزدوجة من حيث البناء من ناحية والقيمة الجمالية من ناحية أخرى، كما أنه يعبر عن رؤية الشاعر بالنسبة للحياة والإنسان والكون ولديه القدرة على الوصول إلى وجدان وفكر المتلقي.

والذي أريد أن أصل إليه هو إلقاء الضوء على تراثنا العريق بما يحمل من قيم مختلفة تلك القيم التي تجعل من الموروث في شعر "غازي القصيبي"[1] لونا فنيا جديدا مستمد عراقته من أصالة الماضي وحداثة الحاضر.

وقد تبين لي أثناء إعداد هذه الدراسة أن الموضوع مطروق ولكنه غير مخصص، كما أن مادة البحث غزيرة في ذاتها بالإضافة إلى ما يتصل بحركتها العامة المعاصرة أو بإطارها العام من دواوين شعرية ودراسات مرتبطة بهذه الدواوين.

فالشاعر له العديد من الدواوين[2]، وقد استطعت بتوفيق من الله جمع الكثير منها والربط بينها؛ لبناء ظواهر كلية تشمل موضوع الدراسة في منهج فني يجمع بين الشمول والتكامل وذلك حين زاوج الشاعر في شعره، ثم بين الأصالة والمعاصرة عندما وعى التراث ثم استوعب منجزات الحداثة الشعرية فكانا جناحيه اللذين مكناه من تمثل روح العصر ومن ثم التعبير عنه.

(1) ولد الشاعر الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي في الإحساء بالمملكة العربية السعودية، وانتقل مع أسرته إلى البحرين في سن الخامسة حيث تلقى التعليم في مراحله الأولى، وفي مصر أتم دراسته الجامعية، أما دراساته العليا فكانت في كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ثم في لندن، وهو متخصص في القانون والإدارة والاقتصاد.

(2) للشاعر عدة دواوين من أهمها: المجموعة الشعرية الكاملة والتي تتضمن سبعة دواوين أعيد طباعتها عام 1408 هـ/1987م ـ مطبعة تهامة.

كما تبدو في طبيعة العلاقة بين الشاعر وتراثه وكيفية استفادته منه وتوظيفه له في جميع مصادره سواء كانت هذه المصادر بعد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أسطورية أم أدبية أم دينية أم شعبية.

وقد رصدت في هذه الدراسة "الموروث في شعر غازي القصيبي" عدة مستويات بعد المقدمة.

1. التراث بمفهومه العام الاصطلاحي.
2. التراث بين العربية والإسلام ومدى ارتباطه بسائر الفنون.
3. استعادة التراث العربي لدى شعراء المعاصرة.
4. استلهام التراث وتفجيره في شعر "غازي القصيبي".
5. المواجهة مع التراث في شعر "غازي القصيبي".

الموروث في شعر غازي القصيبي:

إن التراث العربي هو كل ما ورثته أجيال الأمة العربية السابقة لأجيالها اللاحقة أو جميع ما خلفه الماضي العربي التليد، للحاضر العربي الجديد، ولا يقتصر ذلك على الأدب فحسب، و إنما هو كل ما ابتكره العرب وأبدعوه من علم وفن وكل ما حفظته العربية وعرف عن طريقها، نتاج العقل أو ثمار الوجدان.

وليست هناك شبهة في عروبة ما ابتكره العرب وأبدعوه، وإنما قد تكون الشبهة فيما وراء ذلك مما حفظته العربية، فقد يقال: إن هذه الفلسفة جذورها يونانية، أو يقال إن هذه القصص أصولها هندية، أو يقال إن هذه الأنغام قواعدها فارسية وهكذا.

وقد يوهم هذا القول أن كل ما ليس من مبتكرات العرب لا يحسب من التراث العربي وهذا وهم لا سبيل له من الصحة ، فالطابع العربي في التمثل أولا وفي الإضافة ثانيا ، ثم في استيعاب اللغة آخر الأمر، قد جعل من كل هذه المواد العلمية والفنية - ذات الأصول الأجنبية - تراثاً عربياً بما فيه من حفظ العرب وتمثلهم وبما فيه من إضافات العرب وتشكيلهم ثم بما فيه من لغة العرب وتعبيرهم[1].

(1) دراسات أدبية - أحمد هيكل، دار المعارف، 1980م، ط1، ص 44.

وتراثنا هو الموروث عن السلف سواء كانوا ممن ينتمون إلى الأمة العربية أو غيرها، أي أن تراثنا هو الموروث من كل أنحاء العالم، الأساطير، القصص، والحكايات والكتابات وتاريخ الأعلام وما ظهر من قيم ومبادئ، وما عبرت عنه هذه جميعاً من عادات وتقاليد ومثُل وطقوس.

والتراث هو الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفني وكل ما يتصل بالحضارة أو الثقافة.[1]

والتراث بمفهومه اللغوي مشتق من مادة ورث، وهو الميراث والورث والإرث والمأثور ـ وكلها بمعنى واحد ـ ما يخلفه الرجل لورثته ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا﴾[2]، وتنصرف الكلمة مجازاً إلى ما هو معنوي، فيقال هو في إرث مجد والمجد متوارث بينهم[3] وعلى ذلك ما جاء في قوله تعالى إخباراً عن زكريا عليه السلام ودعائه إياه.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[4].

قال "ابن سيده"[5]: إنما أراد يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة، ولا يجوز أن يكون خاف أن يرثه أقرباؤه المال لقول النبي ﷺ "إنا معاشر الأنبياء لا نورث. ما تركنا فهو صدقة".

(1) في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية ـ رمضان الصباغ، ص 410، ط الأولى ـ 1998م ـ دار الوفاء الإسكندرية.

(2) سورة الفجر: الآية رقم 19.

(3) أساس البلاغة للزمخشري، ج 2، ص 499.

(4) سورة مريم: الآيتان 5، 6.

(5) لسان العرب لابن منظور، ج6، ص 4808.

فالتراث والموروث تستعملان في العربية من قديم بمفهوميهما المادي والمعنوي، وإن غلب استعمال الإرث والميراث فيما كان مادياً، والتراث فيما كان معنوياً والكلمة تطلق وتقيد تبعاً للوصف اللاحق بها[1].

والموروث العربي بالمفهوم العلمي يمثل قيمة إنسانية ضخمة كما يشكل قيمة قومية خالدة ولسنا في حاجة إلى تكرار القول في شمول هذا الموروث وتنوعه أو في الدور الحضاري الذي قام به في مجال العلم والفن في خدمة الروح والعقل وبيان فضله على المجالات العلمية والفنية الغربية منذ أكثر من سبعة قرون من طب وطبيعة وكيمياء ورياضة وفلك ونبات وفلسفة وتصوف وسياسة واجتماع بالإضافة إلى فنون الأدب والموسيقى وغيرها من الفنون الجميلة العديدة.

ومن هنا أرى ضرورة الالتفات إليه حتى نُمنح الثقة ونتقدم في ركيزة قوية تشحذ العزيمة وتفتح باب الأمل، أو تحمل على مواصلة النتاج الأدبي هذا الجزء المهم في "الموروث العربي".

وليس معنى الارتباط بالموروث أن نجمد عنده أو نتعبد في محرابه، ولكن معناه أن نظل على ارتباط وجداني به كإرث خلفه الآباء وأن يكون موقفنا منه كموقف الابن البار مما يخلفه له الأب الطيب. فطبيعي أن يكون في ما هو قوي بحيث يظل صالحاً للإفادة منه ومقدساً بحيث يتحتم الموت دونه.

إن تراث الأمة، أية أمة هو جزء من حضارة العالم (الإنسان) ولهذا تحرص الأمم على وضع مميزات لتراثها في مختلف توجهاته وتنوعاته[2].

والعودة إلى التراث يعد إعادة صياغة جديدة لم تكن موجودة في النص الأدبي الموروث وكلما ارتقى الكاتب في تعامله مع التراث وصل إلى درجة الاتقان وازدادت قدرته على تحمل هذا التراث بأفكار معاصرة دون أن يضر ذلك بالبنية التراثية للنص في ارتباط عميق وهذا محور المسار المتطور لفكرة استلهام التراث وتوظيفه.

(1) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر، ط3، بيروت، 1982م.

(2) الشعر العربي من منظور حضاري، مدحت الجيار، المكتبة الثقافية، دار المعارف 1980م، ص 160.

لذلك يرتبط مفهوم "التراث" بالأصالة والمعاصرة في آن حيث لا بد للمعاصر من امتداد في عمق التاريخ والحضارة والثقافة الخاصة بأمته وبرد الأصالة إلى مادتها اللغوية "أصل" يكون المعاصر ذا جذور أصيلة ممتدة تمنعه من الانهيار أمام المعاصر (الوافد أو الغريب).

كما أنه لا بد للأصيل من أن يكون متمثلاً في الفكر الحاضر، أي يتواصل التراث (القديم، الأصيل) بالآن، الناتج من (الجديد الوافد).

معنى ذلك أن الماضي والحاضر كلاهما يمثل قوة الدفع للمستقبل والوقوف عند الماضي يصيبنا "بالعمى" والوقوف عند الحاضر يسمُ عملنا بالسطحية، والتركيز على المستقبل دون اشتباك الحاضر بالماضي، يسم عملنا (بالهزال الفكري) والحضاري.

ولذا فإن التعامل مع التراث ينبع من موقف محدد مبني على وعي جمالي وثقافي مسبق، كونته الذات بقدر معين وساهمت عدة عوامل في تكوينه مثل (المجتمع، العصر، العلاقات الإنسانية وتفاصيل كل منهم).

والتراث الأدبي الذي غدا ثقافة متداولة ينطوي على مادة نثرية وشعرية غنية فيها قيم إنسانية صالحة للبقاء والتداول في السياق الشعري الحديث.

والشعر العربي لا يستجيب للتراث كمجرد رغبة فنية بحتة بل نتيجة لوعي أشمل وأعم إذ إن هذا التراث يمثل ذاكرة الإنسان الواعية لماضيه[1].

وحين يتم التعامل مع نص تراثي أو شخصية فإن هذا يخلق جدلاً حراً بين نصين (النص المصدر، والنص المحدث)، وهذا إذا وفق الشاعر في الاختيار والتعبير والوصول إلى جذر عملية التناص ليثري العمل الشعري ويفتح آفاق النص ويوسع فضاءه.

ولقد تباينت طرق التعامل مع الموروث وتوظيفه في شعر غازي بن عبد الرحمن القصيبي أحد أعلام الشعر والفكر والأدب والإدارة في المملكة العربية السعودية. ولد القصيبي في الأحساء 1359هـ - 1940م، وتقلد عدداً من المناصب الإدارية والسياسية، إلا أن ذلك لم يثن عزمه عن امتطاء صهوة الشعر والجري في مضماره، وكونه فيه من

(1) قراءات في رؤوس تحترق، نجوى وهبة، الهيئة العامة للكتاب، 1999م، ص 105.

السابقين، حيث أصدر ثلاثة عشر ديواناً منذ عام 1960م حين صدور ديوانه الأول "أشعار من جزائر اللؤلؤ" إلى 2001م حيث صدر له ديوان "يا فدى ناظريك" وهي تمثل مزيجاً بين أهم مرحلتين سيطرتا على الشعر العربي: أواخر المرحلة الرومانسية، والمرحلة الواقعية وملامح من اتجاهات أدبية أخرى[1].

ولقد كان لهاتين المرحلتين أثر بالغ في شعر القصيبي عامة وفي شعره الموروث خاصة وهو موضوع الدراسة. إذ إن الحديث عن شعر القصيبي في جميع مناحيه وتجاربه الشعرية مما يطول فيه القول، وتتشعب فيه السبل؛ ولذلك كان الاقتصار على هذا الموضوع "الموروث في شعر غازي القصيبي".

فقد ارتبط الشعر العربي الحديث منذ بداياته بالتراث ففي حركة البعث والإحياء التي رادها (البارودي) تتعانق أعماله وأعمال "شوقي" مع التراث العربي الإسلامي، وفي كم من قصائدهما الشعرية نجد معالجات الأساطير والأحداث التاريخية والشخصيات التراثية.

وفي ضوء هذا التفت "غازي القصيبي" للتراث يستفيد منه في شعره المعاصر، خاصة وأنه شاعر واسع الثقافة لديه الخبرة التي أوتيها عبر سنوات طويلة استوعب فيها التراث وهو يتحول في الأعمال الفنية العظيمة من مجرد "خامة" إلى طاقة خلاقة تعطي وتضيف، تربط بين الإنسان وماضيه الطويل في كل زمان ومكان، تربط بين الواقع الذي يعيشه مجتمع ما وتاريخه لنقترب أكثر من شغاف القلوب وتؤثر فيها[2] .

ويتجلى استيعاب "غازي القصيبي" للتراث العربي بوجه خاص في شعره، استيعابا يدل على نفاذ إلى الجوهر، ووعي بالجوانب الفكرية والنفسية المضيئة، وقدرة على تطوير هذا الذات، مما يضفي عليها روحا جديدة، محققا بذلك معادلة التراث والمعاصرة، فهو يستخدم أدوات التراث ووسائله بأنامل تمتلك القدرة على التقاط العناصر الحية، ونبذ العناصر التي عفى عليها الزمن، من منظور شاعر إنساني النزعة.

(1) صورة المرأة في شعر غازي القصيبي، أحمد بن سليمان اللهيب، دار الطليعة الجديدة ـ دمشق 2003م، ص7.
(2) التراث في مسرح "صلاح عبد الصبور" ـ محمد السيد عيد، الهيئة العامة للكتاب 1984م ـ ص 5.

إن ثراء الشعر المعاصر ليس في حرية الشاعر في الشكل وفكاكه من القافية والضرب الموسيقي ولكنه يكمن في اتساع رقعة تجاربه وقدرته على النفاذ إلى عميق الأشياء وجدته في استغلال حتى الأشياء العادية استغلالا فكرياً.

ويعد "غازي القصيبي" واحداً من الشعراء العرب القلائل الذين أضافوا مساهمة بارزة في "الشعر الحر" وتنوعت المصادر التي تأثر بها إبداعه من شعر الصعاليك إلى شعر الحكمة العربي الذي يمثل قيمة فنية لأكثر من اتجاه فهو غني ليس لكثرة عطائه وغزارته بل لاهتمامه بشعره ونزعته التراثية. فقد فجر من جراحه نبعا من روح الحكمة الكاشفة عن أغوار القلق الوجودي والاجتماعي في عالمنا العربي، جاعلا من التاريخ العربي خلفية لتأملاته، أو مسرحا يقيم عليه أعمدة هذه الحكمة[1].

ومن البديهي أن نجاح الشاعر في توظيف التراث مرهون بقدرته على تمثل التراث وهو أمر لا يأتي بالنتيجة المرجوة ما لم يقدم من خلال الوعي بحركة التاريخ، ذلك أن الوعي بالتراث والوعي بالدور التاريخي هما القدمان اللتان يمشى بهما التراث، واللتان تقودان خطواته وتوجهاته ولا يمكن أن تتحقق مسيرة بقدم واحدة، ولا بد من تعقب الأسباب والدوافع التي حدت بـ "غازي القصيبي" خاصة وبالشاعر المجدد بشكل عام أن يلجأ إلى التراث في شعره وهي تنحصر على حسب اعتقادي فيما يأتي:

أولاً: الضرورة الثقافية

إن عصرنا الحاضر لم يعد يقنع بالشعر العفوي شعر الموهبة المطبوعة التي لا تستحضر موروثاتها، ولا تقوم على العلم والثقافة، لذلك كان من مميزات الشاعر الحديث أن يبدع شعراً له وزنه من منظور عصرنا الحاضر لكي يحصل على أكبر قدر مستطاع من الثقافة والتنوع في هذه الثقافة ضرورة ولهذا يفتح صدره وقلبه لما صلح للتراث الإنساني كله قديمه ووسيطه وحديثه، شرقية وغربية[2].

(1) سمات الحداثة في الشعر العربي المعاصر، حسن فتح الباب، الهيئة المصرية للكتاب 2007م، ص 71.

(2) الشعر العربي المعاصر لعز الدين إسماعيل، ط 3، القاهرة، دار الفكر العربي 1994م ،ص 38.

ثانياً: التأثر بالغرب

قد وجد شعراء الجيل الجديد في الشعر الأوربي الحرية في اختيار الأشكال التعبيرية القادرة على استيعاب المضامين الجديدة واستعمال الأسطورة كشكل فني تعبيري لصياغة الواقع والإشارة إلى واقع أمثل.

وفي أواخر الخمسينيات إلى السبعينيات كان الشعور ممزوجاً بالإحباط والحزن والتمزق واليأس والنقمة والتمرد ولكنه لم يخل من لمحات وتطلعات آملة، لقد كان الفزع إلى الماضي أو الهروب إليه في صوره الزاهية وأمجاده المنتصرة مسلكاً طبيعياً لأصحاب تيار التجديد في محاولة استدعاء الشخصيات التراثية التي لم تكن تجلب الطمأنينة النفسية التراثية للشاعر فحسب بل لاستنهاض الهمم وبعث القيم التاريخية المنتصرة أيضاً التي حققت للحضارة العربية والإسلامية مكانة عليا في المجتمع الإنساني.

ثالثاً: النزعة الإنسانية

إن العودة إلى الوراء والتطلع إلى رحلة الإنسان السابق هو شأن كل لاحق يحسن التعاطي مع حاضره من خلال دروس من مضوا. والتوقف عندها إعجاباً مرة وسخرية أخرى واتعاظاً في ثالثة وهي جميعاً تبعث في نفس الشعراء بالتجديد دون غيرهم من الناس، شعوراً بالارتباط الإنساني القوي وكأن التاريخ يعيد نفسه وكأن الوجوه التي غابت منذ مئات السنين حاضرة في لحظات يتمثلها الشاعر مع ما يناسبها من حاضره.

وقد يكون الشعراء عامة والقصيبي خاصة من استلهموا هذا الارتباط الإنساني من خلال تأثرهم بالأسلوب القرآني الذي قدم لنا قصصاً فيها الكثير من العبر والفوائد التي تتجدد بتجدد روايتها في القرآن في كل مرة بطريقة مختلفة.

هذه من أهم الأسباب التي دفعت الشاعر (المعاصر) إلى الموروث في شعره.

وقد امتلك "غازي القصيبي" القدرة على التغيير والتجديد فاختار قصيدة التفعيلة إطاراً لأفكاره ومشاعره في أغلب الأحيان، فأعمل وعيه ومشاعره في بناء عمل فني مركب ، وقد يختار القصيدة العمودية عندما تدعوها التجربة الشعورية.

وصاغ موروثاته من جديد بما يوائم فكره وحصيلة تجربته ويتكون هذا الموروث - أساسا – من التاريخ والفلسفة والسياسة والدين والأسطورة، وجعل "غازي القصيبي" كل ما تتضمنه هذه المادة رموزا للرؤى والأفكار التي يصورها معبرا بها عن فلسفته في الحياة نافخا فيها روحا جديدة عصرية.

ويستقي القصيبي بعض إسقاطاته وتضميناته من القصص القرآنية مستخدما في كثير من الأبيات صورها أو لغتها ونجد بهذا الاتجاه الأسلوبي في قصيدة "الشعراء"، إذ يضمنها من العنوان قوله تعالى:﴿والشعراء يتّبعهم الغاوون﴾[1]، حيث يقول[2]:

لنـــا خلـــق إلـه دفء الربيـــع
وصـــور بهـجـــة أيـــامـــهِ
لكَـــى نترشَـفَ مـن عطـــره

.....

ألا طـالعـوا زهـرة في الـريـاض
يحـوم الفـراش على ثغـرهـا
فهـل تبصـرون ســـوى لونها؟
وهـل تعشقون سوى عطـرها؟

وفي هذه الأبيات يقتبس من القرآن ـ فكرة ولفظ ـ قوله الذي يعبر به عن رؤيته الخاصة.

كما أنه تضمن قوله تعالى "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله" في قول الشاعر: (بحق كل واحد في أن يقول ما يشاء وأن يكون من يشاء؟) بما يحمل من مقابلة من قصيدة "القمر ومليكة الفجر"[3]:

أبقت لنا الأيام من دموعنا

(1) سورة الشعراء ـ آية 224.

(2) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، تهامة للنشر، ص 35 ،36.

(3) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 319.

ترى تعود إن نذرنا
أن نكون مؤمنين
بحق كل واحد
في أن يقول ما يشاء
وأن يكون من يشاء؟
كيف تعود يا قمر
ونحن لسنا نادمين
ونحن لسنا مؤمنين؟

وقد يقتصر عنده الاقتباس على الاستخدام اللغوي والتعبيري مثل قوله: (فصل الخطاب)، وقوله: (سلام على التابعين) من قصيدة (أسطورتان) إذ يقول[1]:

وفي كل شبر مذيع فصيح
لديه إذا صاح فصلُ الخطاب
يقولُ: "سلام على التابعين
وويل لمن لم يسر في الركاب"

ويوظف القصيبي قيمة الإحسان للوالدين في التعبير عن حبه لأمه وهو الحب الذي دل عليه القرآن الكريم في آية قرن فيها الإحسان للوالدين بعبادته عز وجل في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[2] ويقول القصيبي في قصيدة (أماه)[3]:

رمضان يا أماه أغبرُ
ما توضأ من إنائك
ظمآنُ يجتر الظما
ظمآن يحلم بارتوائكْ

.....

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 275.

(2) سورة الأسراء، آية 23.

(3) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 279.

أمّــاه! لـو يقــوى الخيــال
لـراح يهــزأ بـانطـوائــك
ويقـول: "كـذب أن أفيـق..
فمـا أشـم شـذى بقـائــكْ"
ويقـول: "إفك كـل لفــظ
راح ينعـب بـانتهــائـــكْ"

وهنا نعيش رثاء الشاعر للأم في أعذب الكلمات وأقوى الألفاظ اللغوية والتعبيرية في صورة من صور الإحسان لها بعد مماتها بالذكر الطيب.

كما يستلهم ليلة الإسراء والمعراج في اعتماده على القصص القرآني في قصيدة "عودة رمضان[1]":

القدس رجاءْ
يطوى ليل الإرهاب إلى
ليل الإسراءْ
يتحسسُ رايات محمد
وكتائبه عبرَ الصحراءْ
القدسُ دُعاءْ
القدس يرتل في محنته آي
القرآنْ
يتشبث بالحلم الغضبانْ
فغداً ينفذ صبر البركانْ
ويعود العاشر من رمضانْ
ويثور نفيرْ
ويضج المسجد بالتكبيرْ

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 547، 548.

وتضيء منارته البيضاءْ

وهنا بالرغم من التفات الشاعر إلى انتصار الجيش المصري على إسرائيل في العاشر من رمضان إلا أنه استطاع أن يتمثل القيمة الزمنية للصوم وهي تتشكل في مظاهر حسية في شهر الصيام فـ (يضج المسجد بالتكبير)، وهكذا يستخدم الشاعر في سياق شعره بعض الكلمات التي يرى أن لها قدرة أو عبقاً خاصا يقوي من تأثير القصائد كالأبيات والكلمات القرآنية، فهي تعد من أجل ما نظم الشاعر عندما وظف فيها الموروث الإسلامي بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[1].

"اذهب وربك قاتلا إنا هنا" في آخر قصيدة "عامان" يقول فيها[2]:

قُـل للفـدائي الـذي منـح الـرُبى
من روحه ما ضاع من آذارهـا:
"نحن الألى جـادوا عليك بخيمـة
ورموك كالمجذوم في أقـذارها
لا أرجعوك.. ولا ارتضتك ديارهم
وتركـت شحـاذاً على أسـوارهـا
.....
اذهب وربـك قـاتـلا .. إنـا هنـا
نحـمـي ديـار العـرب من أغـرارهـا"

ويتضح أن استدعاء الألفاظ الدينية يمنح النص الشعري إضافة لغوية تؤكد بصمته وذلك بخاصية جوهرية تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه وهي أنها مما ينـزع الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكره.

(1) سورة المائدة ـ آية 24.

(2) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 344.

وقد قامت الكثير من القصائد التراثية على فكرة البحث عن المنقذ أو المخلص بالدلالة والمغزى الذي يعيد للمدينة العربية المستباحة مجدها وحريتها وكرامتها الضائعة فيقول[1]:

يا أمة مُزقتُ فوق صليبها
وغرقتُ في الأمواج من أكدارها
أبصرتُها والسيف يرقب رأسها
وأصابع الأوغاد تحت دثارها
ورأيتُ عمق اليأس في نظراتها
ورأيت موت الكبر في استعبارها
.....
ووددتُ لو أنّى سقطتُ مُكفناً
بغلائل المهتوك من أستارها
ووددتُ.. يا للجبن يغرزُ نابه
في الروح.. يمعن في خفيّ قرارها
.....
وأخافُ قول الناس:" يا لك أمّة
لم تذهب الأحداث باستهتارها
بالأمس قد قطع اليهود يمينها
أيرى الخليج غداً ضياع يسارها؟"

ويقول[2]:

يا سيدي! مزقْ حجاب الردى
واصرخ يرد الصرخة المشرقانْ

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 345: 347.
(2) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 369، 370.

وقـــل لنـــا" إلام يلـــهـــو بـــكـــمْ
حرصٌ على الكرسيّ والصولجانْ؟
وفيـــم تبقـــى أرضكـــم ضحكـــة
لكـــل شبـــر بـــائس دولتـــانْ؟

.....

يـا سيـدي! وجـهـك نـــور مـــــن
الأقصـى لـــه عينـــاي تستســلمـــانْ
ألمـــح في ومـــضـتـــــه أُمـــــة
شقـــت دجـــى أكـفـانهـا الميتـــانْ

ومن هنا يصبح الموروث الديني في شعر "غازي القصيبي" تعزيزاً قويا لشاعريته.

ولقد استطاع القصيبي أن يسجل بعض المعاني القرآنية ومن ذلك قوله في قصيدته (نهر من الدم) بعد مذبحة صابرا وشاتيلا[1]:

نهرٌ من الدم .. فامشي فيه.. واغتسلي
مـن الجنـــابـة .. يـــا أنثى بـــلا خجـــل

.....

ها أنت مُتّ .. فقومي الآن وانتفضي
قـــد يصبح المـوت ميعـاداً مـــع الأزل
نهـرٌ من الـــدم .. يجـــري في مرابعنـــا
بـــلا شمـــوخ.. بـلا كـــبر.. بـلا بطـــل
مـا مـات فيه عـدوّى.. مات فيـه أخي
بطعـنـة من أخـي مسـمـومة القبـــل
مـازال يجري وتسقـيه الـروق طـــلاً
فـالأرض ترقصُ في عرسٍ بـــلا جذل

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 749 :751.

نهر من الدم.. فامشي فيه وارتشفي
حتى الثمالة.. يا أضحوكة الدول
قالوا" فلسطين! " قلنا الحين عاجلها
فاستسلمت لمدى الجاني على عجل
قالوا "العروبة!" قُلنا أمةٌ درجتْ
على الشقاق .. فأضحتْ مضرب المثل
في كل شبر زعيمٌ رافعٌ علماً
يقول إني وحيد الناس في مُثُلي

فالموروث الديني يتجلى لنا في (ما مات فيه عدوي، مات فيه أخي، بطعنة من أخي مسمومة القبل) يقوم على البعد الرمزي الذي استحضره الشاعر من قصة هابيل وقابيل ابني آدم عليه السلام فقد استفاد من قوله تعالى[1] ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

فقد وظف الشاعر هذه الآيات في دلالاتها العامة على ما ينضوي تحتها من شقاق بين العرب وضياع للبلاد العربية وفقد الأمن والأمان.

ومن هذه الملامح في شعوره قوله في قصيدة (برقية عاجلة إلى بلقيس) حيث يقول[2]:

بلقيس! يقتتل الأفيال .. فانتدبي
إليهم الهدهد الوفي بما ائتُمنا

(1) سورة المائدة الآية 27: 30

(2) قراءة في وجه لندن ـ غازي القصيبي، المؤسسة العربية، ط 1، بيروت 1997م، ص 27.

وهنا استفاد القصيبي من قوله تعالى[1]: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ * أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

فقد استدعى الشاعر قصة النبي سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبأ بلقيس حيث يركز الشاعر على الحرب في اليمن ويستدعى صورة الملكة بلقيس متكئاً على رمزية المكان وما يحدث به من خلافات قبلية عندما جسد شخصية الملكة في النداء الواضح لنا في الأبيات كما شخص صورة الهدهد وجعل منه محاورا دينياً فاعلاً في الحياة.

ويأتي التراث الأسطوري[2] ليحتل مقاماً مهما في كثير من العلوم الإنسانية الحديثة، وكانت الأسطورة من الأوعية التي قصدها "غازي القصيبي" لينهل منها في تعجب يثير دهشتنا مع الشاعر إذ يقول[3]:

عجبا! قد عهدت "فينوس"
تمثال مـرمـرِ
قلت للصحـب: "أقبلـوا!
إننـي اليـوم أولـدُ"
.....

(1) سورة النمل الآية 20: 28.

(2) الأساطير (دراسة حضارية مقارنة) أحمد كمال زكي م كليوباترا ط 2، 1982م

(3) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 132، 133.

هـمـــوا : "إن حسنهـــا
يخلـب الـروح.. يــذهـــلُ"

وهنا يستلهم القصيبي أسطورة فينوس اليونانية كما فعل في بعض أعماله ومن الملاحظ هنا سواء في اعتماده على القصص القرآني أو المثيولوجيا الأغريقية أنه أكثر ارتباطا بهذين المصدرين من كثير من أبناء جيله، وأكثرهم استيحاء لهما ففي "سأحلم" يقول[1]:

تمـر الليـالـي... ومـازال قـلـبي
يهيـم مـع الحسـن أنّـي شـرد
ومـا زلت أحـلـم بـعـد الطواف
بأسطورة الحُلُم المفتَقَـدْ

نراه يبحث عن أسطورة جديدة تبقى على حكاية عشقه ولكنها في حلم فيقول[2]:

تعـالـيْ دقـائق نحـلمُ فيهـا
بنـافـورة مـن رذاذ الـقـمـرْ
بأرجوحـة عُلقـتْ في النجـوم
بـأسطـورة مـن حـديث المطـرْ
بكـوخ على الغيم... جـدرانـهُ
ظـلالٌ .. وأبـوابُـه من زَهـرْ
بخيمـة عطـرٍ.. يعـبّ الغروب
شـذاها.. ويسكـرُ فيها السَّحر

وتظفر أسطورة الخليج بقسط وافر من اهتمامه والمحور الأساسي لتوظيفه هو محور البعث والحياة المتجددة عندما أطرق الشيخ وجالت مقلتاه في وجود السامري ثم قال[3]:

"قصّتي الليلة عن أحلى أساطير الخليجْ

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 194.
(2) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 203، 204.
(3) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 352، 353.

نقل البحـار عن أجداده
ألـف حكـايهْ
عـن جـزيرهْ
رقَـدتْ في الشمس حسناءَ غريرهْ
يلعبُ الموجُ على أقدامهـا
يسطعُ اللؤلؤ في أحـلامها
ويناغيها القمَـرْ
ويغنّي باسمها العود إذا طاب السَّمرْ

ولعل هذا الحنين إلى أحلى أساطير الخليج عن أوال، وهذا الإلحاح من جانب الشاعر على هذه الأسطورة لا ينفصل عن إلحاح الشعراء العرب على رموز أسطورية أخرى تحمل نفس الدلالة دلالة البعث والتجديد للشعر العربي.

وهذا الإلحاح المشترك على رمز أو رموز متعددة لرمز واحد باعثه توحد الإحساس بتشرذم الواقع العربي ثم الرغبة في تجاوز هذا التشرذم ويتجلى لنا ذلك بوضوح بعد نكبة يونيه عندما قال[1]:

لأني لا أثرثر بالعلا والمجد في شعري
يقول الناس هذا شاعر الغيد
وأين المجد يا وطني؟
وأنت وراء ليل الذلّ...
تحبو في الأعـاصير
تغني للأسـاطير
وتنقل ظهرك المكدود من نير إلى نير
فكيف أقول أنَّك واحد الدنيا؟
وكيف أصب زيفاً في أناشيدي؟

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 698، 699.

لأنّي حين ينعق حولك الشُّعَراءْ
سلوا عنا صلاح الدينْ"
أقول وأضلعي تدمعْ
"دعوه هُناك في حطينْ"

لقد وجد القصيبي كغيره من الشعراء في هذه الرموز تعبيراً عميقا عن هموم واقعهم والأساطير في النهاية وإن اختلفت جنسيتها تراث إنساني عام، ومن حق الأديب أي أديب أن يوظفها ويعيد صياغتها من جديد لتبعث روح الشعر العربي حتى وإن اختلفت هيئته العروضية ويسترسل قائلا[1]:

وبئس الحب يا وطني
إذا لم يكسر الأصنامْ
إذا لم ينكأ الآلامْ
إذا لم ينتفض غضبا
ويقطر عطفه لهبا
على المحبوب في وادٍ من الأوهامْ
ولا والله يا وطني
ولا والله لن أرضاك شعراً في دواويني
أتاجر فيهْ
وألفاظاً مُنمّقةً
من التمويهْ
إذا هتفوا بأمجادكْ
أشرتُ إلى جراحك خلف أصفادكْ
وإن صرخوا "يعيش فُلانْ!"
"يموتُ فلانْ"

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 701، 702، 703.

صرختُ "تعيش يا وطني!"

وهنا يحاور الشاعر وطنه الذي أضناه وأنهكه ولكنه برغم كل ما أصابه متعلق به ومنجذب إليه ولم لا ودمه في حبه ومن حوله في قصيدة (أنت الرياض)، فهو قدره ولا يملك إلا أن يتواءم معه أو يتداوى منه به ما دام هو الداء، فلا بأس إذن أن يستدعى الأسطورة رغبة من الشاعر في الحياة المتجددة فيقول[1]:

أحبك حبى عيون الرياض
يغـالب فيها الحنينُ الحياءْ
أحبّك حبّى جبين الرياض
تظّل تلفّعه الكبرياءْ
أحبّك حبّى دروب الرياض ،
عناء الرياض صغار الرياضْ
وحين تغيب الرياض
أحدق في ناظريك قليلا
فأسرحُ في "الوشم" "والناصريّهْ"
وأطرحُ عند "خريص" الهُمومْ
وحين تغيبين أنتِ
أطالع ليل الرياض الوديعْ
فيبرق وجهُكِ بين النجومْ

وإذا كان الشاعر المعاصر لا يزال يحتفل بالرثاء كعنصر درامي أساسي في بنية ودلالة العمل فإنه لم يرثه بشكل أجوف وإنما امتزجت فيه الدمعة بالفكرة والماضي بالحاضر والأصالة بالمعاصرة.

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 476، 477.

والقصيبي يمثل قيمة هذا الاتجاه في موروثنا من الشعر العربي ففي رثاء الشاعر (الملك فيصل) في قصيدة (فارس القدس) يقول[1]:

فـارس القـدس! كيف غبتَ ومـا
حيّـاكَ في قدسـك الحبيب أذانُ؟
مُتَّ والقـدسُ في عيـونكَ حلـمٌ
وخيـالٌ منضّـرٌ فـتّـانُ
مُـتّ والقـدسُ في دمائـكِ شوقٌ:
ليـس يـهـدا.. أيهـدأُ الطـوفـانُ؟
مُـتّ والقدسُ في الشـفاه صـلاةٌ؟"
"يـا إلـهي! مـتى يحـين الأوان؟"
فـارس القدس! لا يـزال على القدس
ظـلامٌ مُخيَـمٌّ .. وهـوانُ
في ربـوع الإسراء يستأسـد البغي
علينـا... ويشـمـخ الـعـدوانُ
غـرّهـم أننا هـدأنا.. وهل يـدرون
مـاذا يـدبّرُ الـبركـانُ؟

وهو يستعرض الأشلاء الممزقة مشيراً إلى تمزق الوطن العربي وتبعثره متوحداً مع الحدث الجلل مخاطبا إياه بنفس الإشارات قائلاً[2]:

فارس القدس! مُتَّ أنتَ.. ويبقى
الحب .. يبقى الوفاءُ .. يبقى الكيانُ
كُلّمـا خـرَّ فـارسٌ في ثـرانـا
رفـع البنـد بعـده فرسـانُ

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 512، 513.
(2) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 513، 514.

منـــجـمٌ للـــرجـــال أرض بـــــلاد
في ثـــراهـــا تـــنـــزَّل القـــــرآنُ
شعَّ منهـا الهـدى.. فأشرقـت الأرض
حـبـــــوراً .. ومـــــادت الأوثـــانُ
وأطـــلّ الصبـــاح.. يُـزهـق كـفـرٌ
في سنـــــاه.. ويـــولـــدُ الإيمـــانُ
يـا بـــــلادي! والجـــرح دام عمـيـقٌ
والليـــالـــي مـــن حـولـنا أشـجـــانُ
كفكفي الدمع .. فهو فينا .. وإن شُقّ
ضـــــريـــحٌ.. ولُـــفّـــتِ الأكـــفـــانُ

وهنا الشاعر يعني بالغلبة الفكرية على المصاب الجلل وهذا الأمر يعد ضمن تجليات موروثنا العربي في محاولة مواجهة الأزمات وتخطي الصعاب دون تفريط ولم لا؟ فمعاصرة القصيبي مستمدة من أصالته. وللتعرض لمشاكل العصر وعرضها بوجدانه وما يصيبه من حالات شتى تتجلى لنا في (مرثية الناي والريح) إذ يقول[1]:

ولماذا أنت ما زلت تغنّى
وتطُـاوِلْ
أيها المأخوذ بالحلم المُناضلْ
نحن ؟ ! نحن الصُمّ والبكمُ ..
أما أبصرتنا في قبضة الليل
جراحاً وسلاسِلْ؟
تصفر الريح.. ويبكي الناي في الروشة..
في صمت العنادلْ
إنّه ليلُ المقاصِلْ!

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 734، 735.

إنّه ليلُ المقاصلْ!

وبعد أن يستحضر القصيبي هذه الفكرة في وعي المتلقي عن طريق استثارة هذه الإشارات الساطعة في توظيفه للناي والريح، ينحصر هذا الحضور في نهاية القصيدة ليستبقي الشاعر منها مجرد أصداء الناي والريح وهي تسري في الدماء فيقول مخاطباً[1]:

أيها القادم من صنين ...
في بيروت ما زال السُكارى
أذؤباً جائعة .. سارحة في الليل..
تجتاح بكارات العذارى
"وصفاء النبع في صنين ..
والأم التي ترحمُ .. والأهل الغيارى"
والسواحلْ
تقذف السُل الذي يعلق بالورد
.....
أيها القادم من صنين ....
في بيروت قبرٌ
وقناصلْ

وهنا نلمح قول خليل الحاوي في (والأم التي ترحمُ .. والأهل الغيارى).

وهكذا يتجلى التراث لدى الشاعر في شعره بالأسطورة، فهو لا يعتمد في توظيفه للعنصر الأسطوري بل تجاوز التعبير عن الأسطورة إلى التعبير بالأسطورة وتفتحت العلاقة بينه وبين الروافد التراثية من خلال النماذج والسمات الأساسية لشخصية

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 736، 737.

السندباد المتمثلة بالإبحار والسفر والمغامرة والحب كما يقول في قصيدة (الحمى) موظفا شخصية السندباد[1]:

قُصي عليَّ قصة السنين
حكاية المشرد المسكين
طوفَّ عبر قفره الضنين
يشرب من سرابه الخؤون
ويشتكى النجود للحزون
وجرَّب الغربة في السفين
وهام في مرافئ الجنون
كسندبادٍ أحمق مأفون
وعاد بالحُمّى وبالشجون
محّملا بصفقة المغبون

ويتفاوت الأداء في استلهام هذه الشخصية واستشفاف الحكاية الشعبية في قصيدته (رباعيات عاشقة)[2]:

طُفت في بالي .. فطافتْ قصةٌ
في خيالي .. من ليالي شهرزاد
ورأيتُ الأفق يدعوني إلى
موعد عبر بحار السندباد
يا بساط الريح! جئناكَ فطرْ
قبل أن يدركنا ليل البعاد
ألقنا في نجمة مسحورة
ألقنا بين أساطير الرقاد

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 571.
(2) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 295.

شـــوقـــي إليـك ... كـأنّـهُ
شـــوق الســؤال إلى الجـواب
شـــوق الحقيقة أن تـمـــزَّق
شمـســـهـــا ليـل السحـــاب
شـــوق الجـنين إلـى الحيـــاة
وراء دهـلـيـــز الضـبعـــــان

وهنا يصبح السندباد معادلاً موضوعياً في الموروث الأسطوري مما يعمل على عمق القيمة الفنية، وذلك من خلال الإدراك الواضح لقيمة هذه الشخصية حتى تمثل لنا حاجته الملحة للتجديد.

إن رباعيات القصيبي تلفح قلوبنا بحرارة التطور الكامنة في شاعريته فوهجها دوما لا ينطفئ وهي تحمل معول التوظيف في سبيل بناء عالم جديد.

وتمثل الموروث التاريخي أيضاً في قصيدته (بغداد) راسماً ملامح الوطن وتاريخه ومحددا أطر العروبة والأخوة قائلاً[1]:

بغـداد! ويحـك مـا بال الرشيد غدا
لصاً جحـافله من قاطعي السبـل؟
وخبريني عن المأمون ..كيف سرى
في الليل.. يغتصب الجارات بالحيل؟
وأيــن معتـصـم كـنـا نـؤملُّـه
فجاء يشطبنا من زمرة الـــدول؟
ما للنواســي يا بغداد يسـكـــره
دم الـرضيـع .. فيحسوه بـلا كـلل؟
وما لطائيــك الصــداح.. ينشــدنا
الغــدر أصـدق أنبــاء من الـرجــل؟

(1) مرثية فارس سابق، غازي القصيبي، تهامة للنشر، الكتاب العربي السعودي، ط 2، جدة 1413هـ، ص 46

أيــن ابــن حنـبل والقــرآن في يــده
يــرد بغــداده عــن مــوقـع الــزلل؟
وأين شاعرك السياب.. هل ســرقــوا
جيكور منه.. فلم يعثـر علـى نُـزُل؟
أهذه أنــت يا بغـــداد أم سقـطــت
بغداد في أسر هولاكو.. ولــم تزل؟

ونلمح هنا الاستدعاء التاريخي لرموز الخلافة العباسية وأسباب انهيارها (الرشيد، المأمون، المعتصم) وشخصيات أخرى كان لها حضورها القوي في بغداد كما أن لها أثراً ممتداً إلى خارجها كالشعراء والفقهاء. وتغادره الصورة المتميزة لتاريخ بغداد أمام واقعها المر حتى يشك أنها مازالت في قبضة هولاكو وطغيانه.

وقد أشار إلى قضية هامة جداً من القضايا الدينية وهي قضية خلق القرآن ورأى الأمام أحمد بن حنبل فيها، وكل هذه الإشارات ساعدت على البناء المتكامل في استحضار الصورة التاريخية ورصدها في بناء الأمة العربية وما آلت إليه بغداد في الوقت الحاضر ونبرة الأسف على غياب الدين والأدب ورمز القائد المفقود.

ومازال واقع الأمة العربية جرحاً غائراً، وصلاح أمرها حلم لا يتحقق، حلم ضائع يتلذذ بتكراره كما في قصيدته "بيروت" عندما يقول[1]:

بيــروتُ! ويحك! أين الســحــر والطيــبُ؟
وأين حســنٌ علـى الشطــآن مسـكــوبُ؟
وأيــن شعــــرٌ جميــــلٌ لســــتُ أذكـره
علـى الصنـوبـــر والتّــفـاح مكـتـوبُ؟
بيــروت! لا تصــفي لي الجــرح.. أعــرفـهُ
فــإنّه بدمـائـــي الـحـمـــــر معصــوبُ
أنـــا الــذي أســـــرته الـروم.. ما لحــقـتْ

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 581: 583.

بـــه العِـرابُ .. وخـانتـــه الأعـــاريـبُ
حملـت في كـبـدي الآلام فـانـفـطرتْ
وطـوحـــت بي إلى اليـأس التجـاريبُ
يـا للزعـامـــات تلهـو بـي .. وأعشـقـهـا
وربمـــا عـشـــق الأرزاء مـنـــكـــوب
كم أرضعوني شراب الوهم.. كم سخروا
منّى .. وكـم غصـبت روحي الأكـاذيب

وهنا يستلهم الشاعر روح هذا الواقع التاريخي في حياتنا المعاصرة، إن استعانة الشاعر بالشخصيات التراثية التي تحتل مكانة في الذهن العربي وذهن القصيبي مثل (أبو نواس، الطائي، السياب، جميل) والتي تتجاوب مع موقفه الجديد سواء بالإيجاب أو السلب كما أن إجراءه لبعض التغيير البسيط على هذه الشخصيات من شأنه قلب المعنى، أو ما يحدث فيه انحرافا، مما يساعد على إبراز المفارقة وفي ذات الوقت يضفي بعداً جديداً على التجربة وإثرائها عن طريق ما يثيره من تداعي الخواطر وتراسلها بين الماضي والحاضر مما يساعد على تكوين منحى رمزي يتخذه الشاعر قناعاً للتعبير عن مشاعره.

ومن هنا فإن القصيبي عندما يكتب بوعي كامل وإحساس صادق بالتاريخ مما يمنح التجربة الشمول والبعد الإنساني، وتوظيف الأعلام التراثية يجب أن يرد بجزء أصيل من فنية القصيدة بحيث لا يغني غيره عنه في مكانه، وبحيث يلتحم التحاماً عضوياً بكل جزء من أجزائها، ويكون له دور مهم في السياق .

فقد كان الاستلهام مقنعاً حيث اقترب جداً من تفصيل الوقائع بين قائمة من القيم الحائرة القلقة وهي حكاية ما زالت تتكرر في وقتنا الحاضر.

فالقناع في الغالب يميز شخصية تاريخية يختبئ الشاعر وراءها ليعبر عن موقف يريده، ويمثل القناع خلف أسطورة تاريخية غير حقيقية لتعبر عن الضيق من التاريخ الحقيقي.

ولا شك أن أسلوب (القناع) يمثل مرحلة متطورة في أساليب التعامل مع التراث من خلال الاستعانة الفنية بالشخصية التراثية لبناء قصيدة ذات منحنى درامي يتصاعد مع السمات التاريخية التي تحملها هذه الشخصية وانعكاسها في ذات الشاعر الممتزجة معها لتقديم المثال الإنساني في صورته الفاعلة[1].

وهذا الأسلوب الشعري يمثل الجهد الكبير الذي يبذله الشاعر المحدث لإرساء دعائم مثبتة على التراث في الوقت ذاته الذي يحرص فيه على تطوير أدواته الفنية وقدرته الإبداعية.

والتعامل مع المرأة: أوسع مجالاً من القناع على غالب الظن؛ لأنها تصلح أن ترفع للماضي كما تصلح أن ترفع في وجه الحاضر وأن تعكس الأشياء مثلما تعكس الأشخاص بينما لا يصلح القناع إلا للماضي ولاستحضار شخصيات أصبحت في تضاعيف التاريخ نموذجية.

ويزيد من قيمة الموروث لدى القصيبي بروز ما يكنه في قلبه من مشاعر وأحاسيس في صورة إيجابية للمرأة وذلك من خلال سياقات الحضور بشكل صورة المرأة الوطن في قصيدته (العودة إلى الأماكن القديمة) مخاطباً دولة البحرين وطنه الثاني إذ يقول[2]:

ملء روحي الظما.. فأين "عذاري"؟
وبقلبي الهوى.. فأين الجفونُ؟
ما تغيرت .. أنت ليلى التي أعشقُ ...
لكن تغيَّر المجنونُ
عدتُ بحرينُ .. لا الفؤاد فؤادٌ
مثل أمسٍ ... ولا الحنين حنينُ
قدري كان بالجراح سخياً
والذي يلثم الجراح ضنينُ

(1) الإبداع الأدبي المعاصر، مفيدة إبراهيم علي ، الدار السعودية للنشر 2004م ص 61.

(2) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 681، 682.

ألفُ شمسٍ تفجرّتْ في جبيني
عجباً كيف ما تلاشى الجبينُ؟
جرعتني أوصابهنَّ .. عصورٌ
وسقتني أوجاعهن ... قرونُ

وهنا يرى الشاعر نفسه في البيت الثاني قيساً ويرى ليلى محبوبته وطنه وهما رمزان للحب العفيف، ويرى ذلك أيضاً في قصيدته (بنت الرياض) فيقول[1]:

بنت الرياض! دعاني الأمس فانتفضت
روحي كقافلةٍ ظمأى رأتْ ماء
يشدني لك تاريخٌ .. وملحمةٌ
من الحنين تجوب النفس هوجاء
عمري هنا .. وسنيني المقمراتُ هنا
شيءٌ يحرك في الأعماق أشياء
أهيم في عَرصَات الدار .. أحسبني
قيساً أتعرف ليلى أنه جاء؟

وهنا في البيت الأخير استطاع القصيبي إبراز قيمة الوطن وأن يصل به إلى المثالية مقتديا بالحب العذري، ويتأكد هذا التوظيف وتلك القيمة عندما يخاطب الحسناء (أوال) جزيرة هي أحلى أساطير الخليج فيقول[2]:

"قصتي الليلة عن أحلى أساطير الخليجْ"
نقل البحار عن أجداده
ألف حكايهْ
عن جزيرهْ
رقَدتْ في الشمس حسناءَ غريرهْ

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 720، 721.
(2) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 352، 353.

يلعبُ الموجُ على أقدامها
يسطعُ اللؤلؤ في أحلامها
ويناغيها القمرْ
ويغنى باسمها العود إذا طاب السمرْ

ويبدو لنا الموروث في تعامل القصيبي مع المرأة من خلال قصيدته "لا تقولي" فيقول[1]:

لا تقولي كلمات الحب إلا
بعد أن ترفع عيناك قناعي
.....
بعد أن أهمس في أذنك ...
أوهامي .. أساطيري ..
أقاصيص ضياعي

وهنا يستمد الشاعر صورة المرأة أو بعض ملامحها في تشكيل فني كان له الأثر البالغ في التعبير عما بداخله من أحاسيس.

وبثقافة القصيبي التجديدية يقول في قصيدته "الموعد"[2]:

سمراء! عدتُ إلى متاهات الأسى
ما كل عود يستطاب فيحمدُ
فكأنني ما عشتُ عندك لحظةٌ
رقص الربيع لها وسال العسجدُ
وكأنني ما قلتُ فيك قصيدة
سبتْ النجوم فلم تزل تتنهدُ
ورجعتُ للدنيا.. أجرُّ كآبتي
خلفي.. أقوم مع الجموع وأقعدُ

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 234.

(2) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 781، 782.

أخفيــتُ عن كل العيون مــواجعي
فـأنـا الشقيُّ على السعــادة أحُسدُ

وهنا يعبر الشاعر عن إحساسه باليأس في هذه الحياة ويتجلى لنا مدى قدرته على توظيفه المعبر عن الموقف السلبي له أمام هذه المرأة الحياة الموحي بالألم واليأس والحزن.

وفي صورة المرأة الحياة يتشكل البناء الوظيفي لقصائد عدة لدى الشاعر من خلال تشخيص بعض عناصرها وتجسيد البعض الآخر، فنجد الحركة في (أيا بنت أمسي، يا خطوب الدهر، ذنوب زماني، قدري كعينك أو كشعرك أسود، وإذا بالحياة تهتف في أعماق قلبي)، وغير ذلك من الصور (الحية) وهي تعكس إحساسا مريعا بالحياة وتصور مشاعره وأحاسيسه بها، ولذلك برع الشاعر في توظيف الصور القائمة على التشخيص والتجسيد لما يتضمن من شعور مفعم بالأسى واليأس.

وفي ذلك يقول في قصيدة "رحيل"[1]:

ويـا عــاصفات اليــأس! بابي محطمٌ
فهبّي كأنفاس الجحيم .. وصدعي
ويا زورق الأقــدار! جئتُ فقم بنـا
نطــوفُ في ليـل من التيــه مفــزع
أيا بنـت أمسـي! أسفــر الغدر فجأة
كصـوت نعـى... كاد يخرق مسمعي
يُــودعُ غيــري بالمحبــة ... فـاهنــئي
بنصـــلك في قــلب الشقي المُـــودع

ويقول في قصيدته "عذاب"[2]:

التقينا - أنــا وقلــبي - بالحب ...
فـــلا مــرحبــاً بـــذاك النــهــار

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 112، 113.
(2) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 122، 123.

رخُصتْ عندي الحياةُ فأضحتْ
قبلاتٍ .. وليلةٌ من دوار
صرتُ عبد الهوى .. أجرّ قيودي
وأناجي الأسى .. وأزهو بعاري
صرتُ عبد الهوى .. وما كبريائي
غير أنقاض هيكلٍ مُنهارِ
يا عذاب الهوى! إلام أقاسي؟
قد سئمتُ الهوى .. ففك إساري

ويقول في قصيدته "حيرة"[1]:

ما لي إذا فكرتُ فيك.....
سبحتُ في أفقٍ بعيد
وتلفتتْ عيناي .. تبحث عن
وجودك في وجودي
هي رحلةٌ عبر الخيال... أعود
منها بالشرود

ويدخل تحت تلك العناصر التي تم استلهامها في القصائد السابقة العناصر الجامدة فالشاعر يعمد إلى تجسيدها أمام ناظري القارئ تعميقاً للتفاعل بين المرأة والحياة والمرأة والوطن والمرأة المثال كما وظفها في قصيدته "أنت الرياض" فقال[2]:

وفاتنةٌ أنت مثل الرياض
ترق ملامحها في المطرْ
وقاسيةُ أنت مثل الرياض
تعذب عشاقها بالضجرْ

(1) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 124.

(2) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط 2 1987م، ص 477، 478.

ونـائيـةٌ أنت مثـل الرياض
يطول إليها .. إليـك .. السفرْ
وفي آخر الليل يأتي المخاضْ
وأحلم أنا امتزجنا
فصرتُ الريـاض ..
وصرتِ الريـاضَ ...
وصـرنا الريـــاضْ

وهنا تتشكل صورة المرأة عنده من خلال سياقات الحضور تتشكل هذه المظاهر المثلية في توظيفه مزج رغبته في احتواء المرأة المثال.

وهكذا كان إحساس القصيبي مواكبا لوعيه المعاصر بأهمية جلب مواقف تراثية، لا سيما تلك التي تتغلغل في الوجدان وصياغتها صياغة جديدة تنهض بما يحمله الشاعر من مواقف فكرية وشعورية.

والتراث الديني والأدبي أو الشعر والأقنعة والتراث الأسطوري تمثل زوايا أو مدخلاً يلج منها شاعرنا إلى التراث يتعامل معه بالصورة التي يرى أنها تحقق هدفه من توظيف هذا التراث حتى وإن لم يكن تعمده وقصده.

والشاعر حين يلجأ إلى التراث لأنه كما يقول: "إحسان عباس" يمثل جسراً ممتداً بين الشاعر والناس من حوله فهو بذلك يؤدى دوره في إيقاظ الشعر القومي وإبقائه حياً[1].

ويقول في ذلك "أمين الخولي" إن موقفنا من التراث ليس هو موقف الوارث الرشيد، ذلك أن الوارث الرشيد يبدأ بحصر التركة، ونحن لم نحصر هذه التركة حتى الآن[2].

(1) التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، جابر قميحة، ط 1، القاهرة 1987م ـ ص 39.

(2) الأغنية الشعبية، إبراهيم زكي خورشيد، م الثقافية، الهيئة العامة للكتاب 1985م، ص 45.

والكلمة التراثية: حين تساق في شعر حديث يجب ألا توضع عفو الخاطر بل يجب أن يتم اختيارها بدقة متناهية وتوضع في مكانها اللائق من السياق بحيث لا يبدو ثمة تنافر بينهما وبين بقية السياق وبحيث تؤدي مهمتها المعنوية.

والاستلهام الوسطي: يجمع فيه الشاعر بين التراث والمعاصرة بشكل صريح مخترقاً حاجز الزمن وهذا يتطلب من الشاعر أن يحسن اختيار المادة التراثية بالبحث عن السمات الدالة في الشخصية أو الأسطورة، وأن يربط ربطاً موفقاً بينها وبين ما يريد أن يعبر عنه الشاعر من أفكار، ويراعى في ذلك أيضاً المعاصرة والسمة المتجددة التي تحملها الشخصية التاريخية أو الأسطورية وهذا مطلوب توفره في أي مادة تراثية حتى يتم المزج بين الماضي والحاضر.

الخاتمة:

عرض البحث لدراسة التراث بمفهوميه العام والاصطلاحي. فقد اتسم بالشمولية والتنوع وتراثنا هو الموروث عن السلف أي كل ما ورثته أجيال الأمة العربية السابقة لأجيالها اللاحقة أو جميع ما خلفه الماضي العربي التليد، للحاضر العربي الجديد.

ثم عرض لارتباط الشعر العربي الحديث بالتراث خاصة لدى "غازي القصيبي" وأوضح كيف استطاع أن يتمثل التراث ويستعيده ويستلهمه بما يؤكد أن الطاقات الابداعية متصلة وأن الكلمة الشعرية حاضرة الوجود في الشعر العربي المعاصر.

وبعـد:

فكل ما أتمناه أن أكون قد وفقت إلى ما إليه قصدت.

وقد أظهرت الدراسة العديد من النتائج أهمها:

- أثبتت الدراسة أن "غازي القصيبي" ابن بار لتراثه العربي الثقافي والروحي يعيه وعياً قويا ووجدانيا، كما أنه وحد بينه وبين تراث أمته العربية في نطاق رؤية عصرية للماضي ولكنها تهتم كثيرا بالمستقبل ونتيجة لكل هذا استطاع أن يحبها وأن يبتكر وأن يتطور مما يجعله قفزة شعرية تسترعى الاهتمام.

- أكدت الدراسة طبيعة العلاقة بين الشاعر وتراثه وكيفية استفادته منه وتوظيفه له في مصادره كافة.
- تشير الدراسة إلى الوحدة التي تنتظم قصائد الشاعر في توظيفه للتراث، وأنها ليست إلا جزءاً من وحدة أشمل تصبغ أعمال الشاعر كلها صبغة ناجمة عن موقف متناسق رغم ما اعتراه من تحولات.
- أوضحت الدراسة ارتباط مفهوم التراث بالأصالة والمعاصرة في آن حيث لا بد للمعاصر من امتداد في عمق التاريخ والحضارة والثقافة الخاصة بأمته ومرد الأصالة إلى مادتها اللغوية (أصل) أي أن يكون المعاصر ذا جذور أصيلة تمنعه من الانهيار أمام المعاصر(الوافد أو الغريب).

التوصيات:

- إن التراث الذي يعتبر ذاكرة أمتنا ووجدانها النابض بكل قيمها ومثلها لا يزال محتاجاً إلى جهود ضخمة ليتحقق الارتباط به على الوجه المرجو، وهذه الدراسة إحدى هذه الجهود المتواضعة التي تمثلت التراث لتؤكد هذا التواصل وتدعم هذا الارتباط وتؤكد دور تراثنا في تحديه للوعي الثقافي العام بل وتضامنه للوعي الأدبي الحديث بشكل خاص وللوعي الشعري بشكل أكثر خصوصية ثم ليثمر هذا الارتباط والتواصل بين الماضي والحاضر ما يرجى منه من تحقيق قيم إنسانية وقومية.
- الاحتياج إلى تطعيم أدبنا العربي بكل ما هو جديد وأعني بذلك أن تصهر العناصر الجديدة في بوتقة عربية أصيلة وأن تصاغ صياغة محكمة لا لبس فيها ولا غموض لتظهر لنا سمات وخصائص أدبنا العربي الحديث في ثوب قشيب وطريف جيد الصياغة مهما اختلفت المسميات الأدبية.

المراجع:

القرآن الكريم.

إبراهيم زكي خورشيد، الأغنية الشعبية، م الثقافية، الهيئة العامة للكتاب 1985م.

ابن منظور المصري، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.

أحمد سليمان اللهيب، صورة المرأة في شعر غازي القصيبي، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 2003م.

أحمد كمال زكي، الأساطير (دراسة حضارية مقارنة) ،مؤسسة كليوبترا، ط2، 1982م.

أحمد هيكل، دراسات أدبية، ط 1، دار المعارف، 1980م.

"الزمخشري" جاد الله أبو القاسم محمد بن عمر، أساس البلاغة ،ط 2، القاهرة، 1973م.

جابر قميحة، التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، ط 1، القاهرة 1978م.

حسن فتح الباب، سمات الحداثة في الشعر العربي المعاصر، الهيئة العامة للكتاب 2007م.

رمضان الصباح، في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية، ط 1 ،دار المعارف، 1980م.

عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ط 3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994م.

غازي عبد الرحمن القصيبي، قراءة في وجه لندن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط 1، بيروت 1997م.

غازي عبد الرحمن القصيبي، المجموعة الشعرية الكاملة، مطبوعات تهامة، ط 2، جدة 1978م.

غازي عبد الرحمن القصيبي، مرثية فارس سابق، تهامة للنشر، الكتاب العربي السعودي، ط 2، جدة، 1992م.

مدحت الجيار، الشعر العربي من منظور حضاري، سلسلة المكتبة الثقافية، دار المعارف 1980م.

مفيدة إبراهيم علي، في الإبداع الأدبي المعاصر، الدار السعودية للنشر 2004م.

نجوى وهبي، قراءات في رؤوس تحترق، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 1999م.

نور الدين علي بن أبي بكر (الهيثمي)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط 3، بيروت 1982م.

Heritage in Ghazi Al Gosaibi's Poet

Amal Abdullah Al-Toaimy

College of Arts, King Faisal University
Dammam, Saudi Arabia

Abstract:

Ghazi Al Gosaibi took notice of our heritage, and benefited from it, as it shows in his modern poetry since he is an intellectual poet who has experience in connecting human's past with his present. His culture enriches his poets. It also derived me to look at the issue of heritage in his work as one of the few modern Arab poetries who added considerable share to free poet.

Throughout this work, it was clear that "Sa'aleek" and Arabic wisdom poetry influenced Ghazi Al Gosaibi. It also proved that there is a type that enclose all his work that can be traced back to heritage, culture, and Arabic culture in particular.

Key Words : Heritage, Ghazi Al Gosaibi, Modern poet.